الحياة الأدبية في مصر

اثار التقرير الذي نشرته « الآداب » في عددها الماضي حول « الحياة الادبية في مصر » بقلم « ع » اصداء واسعة في الاوساط الادبية العربية تتراوح بين التقدير والتشكيك. وكانت « الآداب » قد قدمت لهذا التقرير بكلمة دعت فيها الكتاب والادباء ، في جمهورية مصر العربية خاصة ، الى ابداء آرائهم فيه حرصا منا على بلوغ الحقيقة التي يبدو ان التقرير قد انحرف عنها في بعض المواضع ، وخاصة بالنسبة لكتاب وادباء مصريين نحترم اسهامهم الفعال في الحياة الفكرية في مصر الشقيقة . وقد تلقينا ثلاثة ردود على التقرير حتى الان ننشرها حرفيا في ما يلي ، ونود ان نؤكد للقراء الكرام وللاستاذ رجاء النقاش الذي نقدره اعمق التقدير ، ان الاستاذ غالي شكري ، كان اول من بادر الى التعليق على التقرير . نقول هذا اثباتا للواقع لا دفاعا عن غالي شكره او سواه .

« الآداب »

دفاعا عن الثقافة قبل المثقفين ..

بقلم غالي شكري

« تقرير عن الحياة الادبية في مصر » عنوان طموح لان يكون وثيقة قابلة للابداع في سجل الثقافة المصرية .. ولكنه طموح خانته القدرة والذاكرة معا ، فلم يترك في خاتمة المطاف سوى مجموعة من الانفعالات الذاتية الحادة .

من ناحية الشكل ، يبتعد هذا المقال الذي نشرته « الآداب » في عددها الماضي ، عن كافة الاصول المتعارف عليها والمبتكرة على السواء في كتابة هذا النوع من الوثائق التسجيلية . انه ليس اكثر من انطباعات مبعثرة يمينا ويسارا لا يجمعها ضابط سوى « الانفعال » الذي أدى الى ابتسار الحقائق ورؤيتها على نحو ضبابي غائم . والنية الطيبة وحدها لا تغفر لكاتب التقرير مغامرته . وأود أن أركز على هذا المعنى ، فلست أشك مطلقا في الدافع النبيل للاستاذ « ع » حين شرع يفكر في هذا الموضوع . لقد أحس انه يعيش في القاهرة وسط ظلمة طاغية وفوضى مخيفة وبلبلة مروعة . ولكن هذا الاحساس لم يقده الى محاولة التأني في رصد المقدمات والنتائج واستقصاء العوامل الخفية والظاهرة وتلمس الابعاد الحقيقية للازمة . ويخيل اليّ انه أحد الادباء الشبان ممن يمارسون « الفن » لا كتابة البحوث ، كما يخيل اليّ انه صغير السن . ذلك أن تقريره يفتقد الاوليات اللازمة لكتابة مثل هذا المقال ، كما انه يفتقد الخبرة والتجربة الناضجة (ولعله الآن يضحك ملء شدقيه ساخرا من هذا الرجل العجوز الذي يفكر بهذه الطريقة) .

ولكن الانفعال لم يكن في يوم من الايام ، بمفرده ، دليلا على الشباب والتفكير الحي . انه على العكس ، يسيء الى القضية المطروحة ، لانه اختار لها منذ البداية قالبا تعبيريا نفترض فيه القدرة على الاقناع . وهذا لن يتأتى ما لم يتسلح بأدوات المنطق وما لم يملك عناصر السياق مكتملة وما لم يكن متفهما لمعنى النسبة والتناسب في اختيار التفاصيل وطريقة فرزها وتصنيفها وتبويبها .

وحين يتصدى كاتب للحياة الادبية في مصر ، عليه ان يحدد منذ البدء : الاطار التاريخي للبحث (الحيز الزمني) ونوعية القضية التي ينشد معالجتها في حدود هذا الاطار أو الحيز . وأرجو أن يوافقني الاستاذ « ع » انه لم يفكر في هذه البديهيات مطلقا ، بل هو ترك قلمه على السجية (أو انه ترك لقلمه العنان كما يقال) ليسجل ذكريات وخواطر جزئية غير مترابطة لا تخاطب عقل القارىء وانما تودع في وجدانه احساسا عاما بالقرف والبلبلة . تأمل معي قول الكاتب مثلا : « واذا سألت عن السبب ، لم تجد الا رجع الصدى ، ويتأكد لك عبث أسئلة كثيرة في هذه الحياة الفانية » . وهي جملة أتصور مكانها في قصة قصيرة ، ولكن مخيلتي لا تستطيع استيعابها في سياق الحديث عن اعتقال بعض المثقفين من جانب السلطة ، فلا شك ان هناك أسبابا اوقف كل من المثقف والنظام ، ولا شك أيضا انه ليس من العبث في شيء ان نطرح هذا الموقف للسؤال والجواب ، ولا شك أخيرا ان « الحياة الفانية » لا تستحق أصلا أن يتجشم الانسان من أجلها عناء الكتابة .

واذا صح ظني ان كاتب التقرير « فنان شاب » وليس ناقدا أو باحثا ، وقد عاش أحداث الفترة الاخيرة من حياة مصر الادبية ، فقد كان من الافضل له ولنا أن يسجل ذكرياته « الشخصية » الحميمة ، أي المنطلقة مباشرة من ذاته المفردة والمرتبطة بما رآه فعلا وعايشه من أحداث ، دون أي تحليل . حينذاك كان المقال جديرا بأن يكون « شهادة » واقعية ، يعاملها التاريخ الادبي في هذه الحدود . ولكن الكاتب لم يؤثر الطريق الموضوعي للبحث ولا هذا المعنى للطريق الذاتي ، فجاء مقاله مزقا متناثرة في الهواء .

مثلا ، ولا زلنا في اطار الشكل ، انه لم يحدد حيزا زمنيا « للحياة الادبية » التي يناقشها .. فهو يبدو أحيانا كما لو كان مهتما بالمرحلة التالية للهزيمة ، وأحيانا أخرى كما لو كان مهتما بالسنوات الاولى من الستينات حين ظهرت مجلات وزارة الثقافة . وهو كذلك لم يحدد « القضية » التي يتناولها بالتحليل ، فهي أحيانا صراع الاجيال ، وهي أحيانا أخرى صراع السلطة والثقافة . وقد نتج عن هذا الخلط مباشرة ان المقال فقد من البداية الى النهاية خصائص اللوحة الثقافية لاحدى المراحل ، وأصبح نهبا لانفعال الوجدان ـ حينا العام وحينا الشخصي ـ الذي وجه الذاكرة الى التقاط تفاصيل تضخمت لدى الكاتب حتى أمست وكأنها الخطوط الرئيسية ، والى اغفال حقائق كبيرة تضاءلت عنده حتى أمست

وكان لا أهمية لها . وفي المفاصيل والخطوط العامة على السواء لم تكن « الفكرة » هي العمود الفقري الذي يجمع حوله هذه وتلك ، وانما « الانطباع الباحث » هو السيد الذي أبرز من التفاصيل وتجاهل من الخطوط العامة ، ما وقع بالكاتب في فخ الرضا بالنفس والالوهية أحيانا .

وعندما نحاول هنا ان نجمع الشتات الطائر في كل صوب ، نكون قد وصلنا الى حافة « المضمون » . وسوف أراجع أولا ما جاء في المقال من تصور للاحداث والوقائع ، وسوف أحتفظ لنفسي ثانيا بحق ابداء الرأي في تحليل الكاتب لهذه الاحداث والوقائع ، ثم سأحاول ، أخيرا ، ان أطرح تصورا بديلا .

١ ـ الفقرة الاولى من التقرير تطمح الى تشخيص الوضع الراهن للثقافة المصرية ، فتقول انه « يلوح في الافق بوادر فترة من انتكاسة ثقافية حقيقية ، نتيجة لما يحدث الآن في الساحة الثقافية في مصر من محاولات السلطة الادبية الرسمية ، لعزل الكتابة واغلاق مجالات النشر ، وسيادة اتجاه ، كان المفروض انه يعيش دوما على هامش الحياة الثقافية في مصر » . والمطلوب في رأي الكاتب لمواجهة هذا الطوفان هو « عدم الفرجة والجلوس على المقاهي واصدار التأوهات والزفرات » بل « تبقى المسؤولية على كاهل المثقفين ـ في مصر والوطن العربي والعالم أجمع ـ لكشف هذه الجريمة وتعريتها وادانتها والتنديد بها حتى تسقط » .

والحق ان كلا من التشخيص والعلاج معا ، يبلغان من التبسيط والارتباك مبلغا لا يلامس في الكثير او القليل جوهر الازمة الراهنة في مصر . ورغم الانفعال الحاد في طريقة التعبير ، فانه يبقى على السطح انطباعا باهتا وليس معالجة جذرية للامور .. فما يدعوه صاحب التقرير بالسلطة الادبية الرسمية ، ليس شيئا طارئا على مناخ الثقافة المصرية طيلة العشرين عاما الماضية . ان نادي القصة وجمعية الادباء فالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، لم تكن جميعها في يوم من الايام بعيدة عن هيمنة « السلطة الادبية الرسمية » التي يعنيها الكاتب . ولعل الرمز الحقيقي لاستمرارية هذه السلطة ومركزيتها الرهيبة هو بقاء يوسف السباعي طيلة هذه المرحلة سكرتيرا عاما لكل هذه المؤسسات ، وما يفرض وجوده الشخصي من حاشية تلازمه في كل موقع . ومن ثم فليس هناك جديد في هذا الصدد ، ولا يمكن ان يكون هذا التصور للسلطة الادبية صالحا لتفسير ما حدث وما يحدث . السلطة الادبية الرسمية ـ أكرر ـ لم تتغير ، وتعيين يوسف السباعي وزيرا للثقافة لا يجسد تحولا خطيرا ، فقد كان من قبل وصوله الى السلطة التنفيذية مهيمنا على مختلف فروع الثقافة ، وهو ليس اكثر سوءا من سليمان حزين او بدرالدين ابو غازي او عبدالقادر حاتم او ثروت عكاشة (حتى في عهد هذا الاخير تم اقصاء ممثلي اليسار عن المسؤوليات الادارية التي كانوا يتولونها في وزارته) .

السلطة الادبية لم تتغير جوهريا اذن ، ومع هذا فقد حدث تغير ما ـ وهو تغير خطير بحق (١) ـ لم يشر اليه الكاتب رغم انه بدونه لا يمكن استقراء الحوادث بعمق ولا يمكن الوصول ـ من ثم ـ الى استنتاجات صحيحة .

وما يطالب به الكاتب المثقفين في مصر والوطن العربي والعالم كله ، لا يخرج عن حدود الشعار ، وحتى في هذه الحدود ، فهو شعار مبتور الصلة بالسياق .. لاننا لم نفهم تماما كنه « الجريمة » التي يقصدها حتى نفهم ماذا يعني بكشفها فضلا عن وسائل اسقاطها. اذا كانت الجريمة هي وجود يوسف السباعي وبطانته في قمة السلطة الادبية ، فهي جريمة قديمة ، واذا كانت الجريمة هي عزل الكتاب وابعادهم عن مواقعهم ، فهي الاخرى جريمة قديمة (الفصل بالجملة من نقابة الصحفيين عام ١٩٥٤ والفصل بالجملة من الصحف عام ١٩٦٥) .. ولا يعني ذلك ان الجريمة سقطت بالتقادم ، ولكن يعني ان تشخيصها ومعالجتها يتطلبان تصورا أعمق وأكثر جذرية للمسائل المطروحة الآن .

٢ ـ الفقرة الثانية تقول بالحرف « ليس ثمة امكانية لحدوثه (أي التواصل) في مناخ ملوث ، يساهم فيه الكتاب بصمتهم أو مساوماتهم ، بمثل ما يحدث للاسف الشديد ، ممن كنا نتصور انهم روادنا الذين يجب علينا ـ نحن الاجيال الطالعة ـ محاكمتهم بعنف » .

الصمت والمساومة ؟ لو كان هذا حال المثقفين المصريين ، لما اتخذت منهم السلطة مواقفها العنيفة . ان لهجة الاطلاق والتعميم هي مصدر الخطر الذي ينزلق بالكاتب الى مهاوي النرجسية ـ باسم الجيل الطالع ـ والى النظرة الاحادية الجانب التي لا ترى الظاهرة في حركتها وبالتالي لا تتعرف عليها ولا تملك اهلية تقييمها . لقد صمت بعض الكتاب . نعم . وساوم البعض الآخر . نعم . ولكن الذين لم يصمتوا ولم يساوموا من الفعالية والتأثير بحيث أصبح كلامهم وصلابتهم مصدرا لقلق حقيقي لدى القائمين على السلطة .

هذا التقييم غير المنصف كان الثمرة الطبيعية لطريقة الكاتب في التعبير ، اذ آثر الحديث عن الشكل الخارجي للاحداث ، ولم يمس قط تخوم الانتاج الفعلي للمثقفين ومواقفهم . لقد كان يهمني كقارىء ان يطلعني صاحب التقرير على آرائه في كتابات الادباء والنقاد المصريين ، ومدى انسجامها مع مواقفهم من الاحداث المتفجرة. لقد ذكر أسماء العشرات دون اشارة واحدة الى مؤلفاتهم وماذا تقول، وسلوكهم وكيف ينحرك . ربما لو انه فعل لما تورط في أحكامه الهلامية غير المبررة موضوعيا من « واقع » الثقافة ومحتواها الفكري ، لا من هيكل « الاحداث » الثقافية العامة . كان بودي لو انه أضاء بصيرتي بقراءة جديدة لاعمال نجيب محفوظ ولويس عوض ويوسف ادريس وصلاح عبد الصبور ورجاء النقاش وغيرهم ، ابان المرحلة التي يطمح لان يؤرخ لها ، وآن يضاهي بين هذه الاعمال الفكرية والفنية والمواقف السياسية .. وحينذاك كان عليه ان يطلع على البيانات التي كتبت (لا أن ينسبها في كلمة واحدة الى توفيق الحكيم) والمحاضرات التي ألقيت في الجامعة والصراع الضاري في نقابة الصحفيين . كان عليه ان يفعل ذلك كله قبل ان يلتقط « نهايات » المسائل للحكم باعدام هذا أو ذاك من المثقفين .

هذا بالاضافة الى ان الفكرة النرجسية « عقد المحاكمات » موغلة في تضليل الذات عن رؤية حجمها وحجم الآخرين . ان « الجيل الطالع » نفسه ليس قطاعا متجانسا ، تتعدد انتماءاته تعددا مذهلا ، والممتازون منه يحتاجون الى التفاعل مع بقية الاجيال التي أعطت ولا زال بعضها يعطي ، بينما « الجيل الطالع » لم يرتفع عطاؤه بعد الى مستوى « العدالة الالهية » التي تحكم على « البشر » بعيون مغمضة . في صفوف الجيل الطالع أعداد هائلة قبلت الرشاوي الصغيرة النافهة ، وأعداد أخرى تعاني من انفصام الشخصية ، مزدوجة الفكر والسلوك .. والاعداد القليلة النادرة ، الموهوبة والواعدة بالعطاء ، تتواصل مع الرموز المضيئة في بقية الاجيال دون تعال أو غرور ، بل بكل رغبة أصيلة في التعلم .

٣ ـ وعلى ذلك فقد جاءت معظم الاحكام التي أطلقها صاحب التقرير على الاشخاص والاحداث والمواقف ، أبعد ما تكون عن الصواب والموضوعية وحسن التقدير .

وبالنسبة للاشخاص سوف أتناول أربعة أمثلة فقط ، من بين

---

(١) انقلاب ١٤ مايو ١٩٧١ .

عشرات الاسماء التي ذكرها الكاتب . ان الاستاذ « ع » الذي بدأ تقريره بهذه الكلمات : « وهناك من القهر والحصار ما يفوق الطاقة » يسمى هذا المعنى تماما وهو يمسك بسكينه يذبح من يشاء . ومن الواضح ان موقفه بالنسبه لبعض الاشخاص لم يكن مصدره فحسب « الغيرة السياسية على الوطن » بقدر ما كانت لديه نظرة مسبقة وعوامل شخصية لا أدري كنهها ولكني أشعر بها محلقة بين السطور . خذ رأيه في رجاء النقاش مثلا . لقد خصه وحده ، بتلك الواقعة التي أوردها مبتورة وخارج سياقها ، فرجاء النقاش لم يكتب بيانا « يؤيد قرارات العزل » والا كان يدين نفسه بنفسه ، ان البيان الوحيد الذي تبنى هذه القرارات بصورة ضمنية هو بيان يوسف السباعي وفكري أباظة وصالح جودت ويوسف الشاروني وادوار الخراط (!!!) ورجاء لم يوقع على بيان السباعي ولا على بيان توفيق الحكيم ... ولعل عزله رغم عدم توقيعه على شيء معناه الوحيد ان « تاريخ » رجاء عند أصحاب الامر والنهي هو « التهمة » المسلطة على عنقه دائما منذ ١٥ مايو ١٩٧١ (من الغريب حقا ان يغفل الكاتب عما حدث لبعض الصحفيين في هذا اليوم : احمد بهاء الدين وكامل زهيري وسامي داود ومحمد عودة ورجاء النقاش ومحمود العالم) . ان تاريخ رجاء الذي يعاقب عليه الآن ، كغيره ، هو الذي دفع « ع » لان يقول في مواضع أخرى « فقدت مجلة الهلال دورها العظيم السابق » .. ألم يكن يقصد عهد رجاء النقاش ؟ ولكن « العامل الشخصي » يبرز حتى في طريقة التعبير لدى كاتب التقرير، انه وهو يمتدح الفترة التي أمضاها رجاء مشرفا على روايات الهلال وكتاب الهلال ومجلة الهلال لا ينسى ان يغمز قائلا ان هذه « الاعمال التي لا نشك في قيمتها » قد تمت خارج مجال المعركة بين القديم والجديد و « بسبب بعض العداوات الشخصية لرجاء نفسه » ! هل يتصور عقل ان ظهور « موسم الهجرة الى الشمال ، وأبناء وعشاق ، وصمت البحر ، وأميركا » ـ وهي الامثلة التي أوردها الكاتب دون غيرها ـ كان بعيدا عن معركة القديم والجديد ؟ وأين « العداوات الشخصية » فيما ظهر من هذه الاعمال ؟ لعله من أسباب نجاح رجاء كصحفي ، انه يميز تماما بين علاقاته الشخصية والمادة الجيدة ، وانه يحرص أولا وقبل كل شيء على ان تكون المجلة أو السلسلة التي يصدرها منبرا ناجحا من الناحية الصحفية ، واسهاما وطنيا وتقدميا من الناحية السياسية . ولذلك ، يا صديقي ، عزلوه ! عزله الفاشلون مهنيا الرجعيون سياسيا . أليس كذلك ؟

أما نجيب محفوظ فيأخذ عليه انه « كان بامكانه اذ ذاك تقديم أعمال الشبان ، الامر الذي يرفضه دائما ، او العمل على فتح الابواب لهم ، أو قول رأيه بصراحة فيهم » ، « وقد اصبح كاتبنا نجما لامعا الآن » ، وكان « كما لا يزال يعيش على مآثره السابقة : الثلاثية ، ثرثرة فوق النيل ، ميرامار ، قصته القصيرة الوحيدة تحت المظلة » . ويبدو ان الكاتب قد آثر الارهاب بالارهاب ، فجنح في هذه العبارات الى أسلوب محاكم التفتيش ، اذ راح يحكم بالنوايا . انني في حدود ما أعلم ، أشهد بأن نجيب محفوظ من بين أبناء جيله كان الكاتب الوحيد الذي خص الشباب بجزء لا يستهان به من وقته وجهده وفكره ، وانه في أحد اجتماعات « الاهرام » كان مناضلا عن انتاج الشباب وضرورة نشره وتقييمه ـ وكلفت أنا شخصيا بالمهمة الثانية التي طورتها في ملحق الطليعة ـ كذلك فقد تدخل نجيب محفوظ بكل وزنه من أجل الحياة المادية لبعض الادباء الشباب ، كان ينجح وكان يفشل ولكنه لم يبخل بالمحاولة فهو ليس وزيرا . كما ان نجيب محفوظ ـ بعيدا عن جلسة ريش ـ كان يعطي رأيه لمن يشاء فيما يكتب . ونجيب محفوظ لم يصبح نجما « الآن » بل هو نجم عن جدارة ومنذ أمد بعيد ، وأعماله التي أوردها الكاتب في سياق « الماضي » قد صدرت ـ باستثناء الثلاثية ـ بعد ١٩٦٥ والى ١٩٦٧ أي انه ـ باعتراف صاحب التقرير ـ كان لا يزال يعطي حتى هذا التاريخ ، وليس هذا بالقليل !

ان لي شخصيا الكثير من التحفظات على نجيب محفوظ ، وهي تحفظات علنية نشرتها مرارا وضاق بها بعض عشاق الكاتب الكبير ، ولكن هذا لا ينفي ان ما جاء في مقال « ع » عار من الصحة مفطى بالانفعال الشخصي الهزيل . وهو الانفعال الذي يصاحبه في قوله عن يوسف ادريس انه « أخذ يتنبه الى نفسه ومستقبله المشرق في الاهرام » . ولست أدري أي مستقبل مشرق جرى اليه يوسف في « الاهرام » . يبدو ان البريق الخارجي للمؤسسة الكبيرة ، يضلل العيون السطحية الساذجة عن حقيقة المحتوى . ان ماضي وحاضر ومستقبل يوسف ادريس ظل دوما في كتبه لا في المنابر الصحفية التي عمل بها ، والمرتب الذي يأخذه في نهاية كل شهر يتقاضاه محررون صغار النفس والموهبة ، وقصصه أو مقالاته غالبيتها لا تأخذ طريقها الى النشر ، فأي « مستقبل مشرق » في الاهرام هرول اليه يوسف ادريس ؟ يا ناس !!

وصلاح جاهين ـ يقول الكاتب ـ « تخلى عن الشعر الى أنواع أخرى أكثر درا للربح » . وليس هذا صحيحا ، فان ملحمة « على اسم مصر » التي كتبها جاهين منذ عام هي أعظم ما كتب من شعر على الاطلاق ، رغم ان الجزء الآخر من وصف التقرير له صحيح ، ولكنها النظرة الاحادية الجانب .

وصلاح عبد الصبور لا يمكن تقييمه ـ والخلاص منه ـ بمقالين كتبهما عن أدب الشباب نختلف حولهما او نتفق ، ولا بموقعه في دار الكاتب العربي حيث استطاع بقدر ما أتيح له من النفوذ الفعلي وفي حدود الهيكل العام للمؤسسة ـ وهو أشمل من شخصه وأكبر ـ أن يعطي الثقافة عطاء شابته بعض أوجه القصور .. ولكننا في خاتمة المطاف لا نستطيع تقييم صلاح عبد الصبور الا من خلال أعماله الفنية في مقامه الاول : مأساة الحلاج ، مسافر ليل ، الاميرة تنتظر ، ليلى والمجنون ، بعد أن يموت الملك . وأيا كانت التحفظات الشعرية والمسرحية على هذه الاعمال ، فلا خلاف على انها وقفت الى جانب حريتنا وانساننا . ولذلك ـ أيضا !! ـ عزلوا صلاح عبد الصبور .

المدهش حقا ان الكاتب « ع » لم يتصد بنفس المقدار الذي تصدى به للكتاب الوطنيين والتقدميين ، لكتاب الثقافة الرجعية المدمرة للعقل والوجدان المصري . ان الدور التخريبي المروع الذي قامت به أجهزة الفكر الرجعي في مصر لم تنل منه سوى الشعارات العامة والآهات الركيكة . وكان جديرا بتقرير عن « الحياة الادبية في مصر » أن يركز الضوء ساطعا على بؤر التآمر وشبكاتها الجهنمية وأساليبها الباطشة بكل القيم والتقاليد التي أرستها الثقافة المصرية منذ فجر نهضتنا . انه حين يتذكر فجأة مجلات القصة والشعر ، ليسب تيمور وثروت أباظة لا يتناول عام ١٩٦٥ الذي سقطت فيه هذه المجلات بتحليل المؤامرة التي شارك فيها المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب (بيان لجنة الشعر الشهير) وكيف وقف المثقفون المصريون وقفة بطولية في وجه الردة ، ولا كيف كانت هذه المؤامرة الثقافية ظلا لمؤامرة اكبر أعد لها الاخوان المسلمون . ان جرثومة الفساد في هذا التقرير المشوه انه خلا من السياق التاريخي ، ولم يستند على خلفية اجتماعية وسياسية تتخذ الثقافة على لوحتها الامامية وضعها الحقيقي . كذلك خلا من أي تحليل للواقع الثقافي الفعلي في الانتاج والاستهلاك . حينذاك كان سينصف الثقافة قبل المثقفين أنفسهم .

انني هنا لا ادافع عن المثقفين المصريين ، فلنا جميعا أخطاؤنا، ولكني اذا كنت أشهد للتاريخ من موقع التقدم ، فانه يتعين علي

أولا تحليل النظام السياسي الراهن ـ وأقول النظام لا هذه الحكومة أو تلك ـ وآن أرصد بدقة وصبر الافعال وردود الافعال بين النظام والمثقفين ، ثم أختار التفاصيل التي تخدم السياق كشواهد ، لا كتجريح أو كتقريظ للافراد .

وليست هناك عملية تسجيل مجردة ، وانما « القضية » التي أبغي الدفاع عنها هي التي تقودني الى عمليات الاختيار والفرز والتصنيف . والقضية التي أراد « ع » الدفاع عنها هي حرية الفكر والتعبير في مصر . غير ان منهجه الانفعالي قاده الى كل شيء فيما عدا الدفاع عن الحرية (*) .

بيروت — غالي شكري

افتـــراء ...

بقلم رجاء النقاش

قرأت ما نشرته « الاداب » في عدد سبتمبر الماضي بتوقيع « ع » عن الحياة الثقافية في مصر . وقد آلمني وجرحني ما جاء في هذا المقال الغريب من افتراء كاذب يقول انني كتبت بيانا أؤيد فيه عزل الكتاب والصحفيين في مصر ، وانني دعوت الى مسيرة لتأييد هذا الاجراء . وقد خفف من المي وجرحي ان المقال لم يترك كاتبا وطنيا شريفا في مصر الا ولطخه بالوحل والطين . وقد اعفى صاحب المقال عددا قليلا من الكتاب المصريين من افتراءاته وتجريحاته ، بل منح هذا العدد من الكتاب كثيرا من البركات واوسمة النضال والكفاءة وخدمة الثقافة ، وهذا موقف له معناه ، وسوف احتفظ لنفسي بتقديم التفسير لهذا الموقف في الوقت المناسب .

اما الان فيكفي ان اقول ان الوقائع التي نسبها صاحب المقال الى كاتب هذه السطور انما هي وقائع كاذبة مفتراة ولا اساس لها من الصحة باي شكل من الاشكال .

والواقع ان هذا الكلام الذي كتبه صاحب المقال انما هو كلام املاه حقد شرير اسود ، ولا هدف له الا الاساءة الى سمعة كاتب هذه السطور ، وكأن كاتب المقال لم يقنع بما اصابني من المحن الكثيرة المتتالية التي ما زلت اعيش في اعمق اعماقها حتى الان .. اقول ان صاحب المقال لم يكتف بذلك بل أراد ان يضيف محنة جديدة وان يزيد جرحا فوق الجراح القديمة ، ولا شك عندي ان كاتب المقال انما ينفس عن احقاد قديمة ، وهي للاسف احقاد شرهة الى مزيد من الالام في حياة الاخرين .

ويكفي ان اقول ان الافتراء الكاذب ضد كاتب هذه السطور هو افتراء يرفضه العقل من الاساس ، كما يرفضه تاريخي الادبي .

واني لاتساءل كيف يقبل العقل ان اقوم باصدار بيان لتأييد اجراءات عزل الكتاب والصحفيين وانا نفسي واحد من اوائل هؤلاء المعزولين ؟.. المعقول ان اشكو من هذا الاجراء واعترض عليه ، او اطالب بتغييره واكافح من اجل ذلك ، اما ان أؤيده في بيان او مسيرة فهذا ادعاء كاذب يفتريه اصحاب النفوس الشريرة المريضة والتي تهدف الى الاساءة للناس والتشهير بهم واستغلال المحنة التي نمر بها اناوغيري في هذه الايام . وهي محاولة تخلو من الشجاعة والعفة والكرامة والضمير الادبي . وليس امام كل الشرفاء في الوطن العربي الا ان يقفوا بقوة ضد هذه الايدي التي تمتد لتطعن الناس بالخناجر المسمومة في الظلام .

القاهرة — رجاء النقاش

(*) هذه المجموعة من الملاحظات تدفعني لكتابة تقرير مفصل في هذا الموضوع أرجو ان انجزه قريبا .

ملاحظات حول تقرير « ع »

عن الحياة الادبية في مصر

بقلم ابراهيم منصور

حين قرأ كاتب مسرحي مصري معروف تقرير « ع » عن الحياة الادبية في مصر ، المنشور في العدد الماضي من مجلة « الاداب » قال : « هذا شيء فظيع » ، ولم يكن فيما قرأه الكاتب المسرحي المصري شيء جديد. فكل ما احتواه التقرير من حقائق امور يعرفها ،ويسمعها، ويعايشها .

التحليل السهل لتعليق الكاتب المسرحي المصري (وقد قاله هو) انه على الرغم من انه يعرف ، ويعايش ، ما احتواه التقرير من جزئيات، فان تجميع هذه الجزئيات ،في صورة متكاملة ، قد افزعه .

رأيي الشخصي انه فزع لانه احس بالعجز ، او فزع لانه لم يحس بالفزع ، لان كل هذا الذي حدث ، ويحدث ـ على مدى اكثر من عشرين عاما ، قد اصبح جزءا لا يتجزأ من الحياة الادبية اليومية ـ لا يحس الكثيرون انه يمثل انتهاكا وامتهانا لكل التراث والتقاليد الادبية المجيدة التي ارسيت في مصر ، فيما مضى .

* * *

الهدف الاساسي للتقرير ، او الذي كان يجب ان يكون(وربما لم ينجح « ع »في توصيله بالقدر الكافي) هو كشف مدى انحدار ، وانهيار ،وانحطاط ، الحياة الادبية في مصر ، على مدى عشرين عاما، نتيجة لامتهان السلطة اليومي للادب ، وللادباء ،ونتيجة لاستسلام بعض الكتاب لهذا الامتهان ، بل ومساهمتهم فيه في مقابل الثلاثين قطعة من الفضة !!

* * *

قوبل التقرير في المجتمع الادبي في مصر ، بموقفين ، هما ،في الحقيقة ، الموقفان الدائمان ، اللذان يحدثان دائما في كافة المواقف الفكرية ، والاجتماعية في مصر ، في الفترة الاخيرة .

ان هذا الاستقطاب قد اصبح ظاهرة تميز الحياة الادبية اليومية في مصر .

* * *

قابل الكتاب « النجوم » التقرير ، بغضب شديد مشوب بالخوف. وكان دفاعهم الاساسي ، ونقطة انطلاق هجومهم عليه انه لا يصح ان يكون هؤلاء الكتاب « مضروبين » و« معزولين » ثم يكتب عنهم بما يدينهم من ماضيهم ، او من محاولاتهم العبثية للنجاة او الخلاص من استمرار الضرب والعسف ، ولان هذا على الاقل ، ليس هو الوقت الملائم للحساب .

وينسى هؤلاء الكتاب ثلاثة امور :

● اولا : ان قضية العزل ليست هي القضية الاساسية ،بل هي قضية ثانوية ، بمعنى انها نتيجة حتمية لوضع ساهم هؤلاء

الكتاب انفسهم في خلقه ، باستسلامهم له .

● ثانيا : ان القضية الاساسية هي انه على مدى اكثر من عشرين عاما . كان هناك سرطان يستشري بالتدريج في الحياة الادبية في مصر ، حتى وصل بها الى هذه الصورة المفزعة من الفكاهة السوداء ، حيث اصبح سادة الحياة الادبية في مصر هم : صالح جودت ، وابراهيم الورداني .

● ثالثا : من القواعد الاساسية المسلم بها للديمقراطية انالحساب الفوري على الاخطاء . والمراجعة المستمرة للمواقف ، هو الذي يمنع تكرار هذه الاخطاء ، ونراكم وتوالي نتائجها السيئة .

* * *

والموقف الثاني هو موقف كتاب « الادراج » والمطحونين ،والذين لم يبيعوا شرفهم ، ولا قلمهم ، لقاء المناصب الرسمية ، ولم يلجأوا الى الابواب الخلفية لبلوغها وانما صانوا بشرف وصبر ومعاناة التراث الشريف الابي لمسئولية الكاتب ، والتقاليد الشريفة التي ارساها رواد الثقافة المصرية بدءا من رفاعه رافع الطهطاوي ، حتى نجيب محفوظ .

هؤلاء الكتاب كان موقفهم التاييد العام لهذا التقرير ،الذي يكشف الوضع المتردي للحياة الادبية في مصر ، الذي يعانون هم منه بالدرجة الاولى .

ومع كل ذلك ، فقد احتوى التقرير على بعض الاخطاء فيالوقائع والمعلومات ، لا ندري هل هي مقصودة ، ام انها نتيجة الجهل ، او النسيان ، او عدم المعرفة الوافية والواضحة .

* * *

فمثلا لا يدري كتاب الفريق الثاني ، والى درجة الاستغراب والدهشة :

● لماذا ، بعد ان كال التقرير الهجوم ، لكل المجلات الرسمية ـ منح رضاه للملحق الادبي والفني لمجلة الطليعة القاهرية ، في الفترة التي كان يشرف عليه فيها « غالي شكري » (!!) ، ويدين في نفس الوقت هذا الملحق نفسه ، بعد استقرار غالي شكري في بيروت (!!)

● ولا ندري أهو نتيجة نقص في المعلومات ، ان يقرر الكاتب ان غالي شكري والدكتورة لطيفة الزيات ، وصبري حافظ ، من الذين فصلهم الاتحاد الاشتراكي من عضويته ، مع ان اولهم وهو غالي شكري نقل فقط الى مصلحة الاستعلامات ،وهي جهاز اعلامي اخر ، والثانية لم يصبها اي ضرر ، بل لا زالت تشرف على ملحق الطليعة . اما الثالث فلم يكن ليحدث له اي ضرر . وهو الذي رفض مجرد قراءة بيان الكتاب الشهير الذي صاغه توفيق الحكيم ، ثم انه ظل يكتب في الملحق ، بعد ان حدث ما حدث للكتاب ، وما يزال .

● وهل هي مجرد صدفة ان يهاجم التقرير كاتبا مثل ثروتاباظة (مهما اختلفت الاراء في تقييم كتابته ، فهو احد الذين وقعوا بيان الكتاب ، وفصلوا لذلك من الاتحاد الاشتراكي) ، ويهاجمه ايضا الاستاذ الناقد غالي شكري في مجلة البلاغ الاسبوعية التي تصدر في بيروت !!

والذي نعرفه عن ثروت اباظة (ونحن نختلف معه اختلافااساسيا في كل شيء تقريبا) هو انه ـ وهو الذي اصيب باضرار ماديه محسوسة ـ وقف موقفا صلبا وشجاعا ، ورفض كل المحاولات المتكررة التي جرت لدفعه للاستسلام . ولو اتيحت للكثيرين من الكتابالمعزولين الفرص المتاحة لثروت اباظة لحلت جميع مشاكلهم .

● ولا اجد لهجوم « ع » على نجيب محفوظ مبررا على الاطلاق ، افهم ان يطلب من الكاتب ألا يبيع قلمه ، ولكن لا افهم ان يطلب منه ان يكون سمسارا للاعمال الجديدة . (وليس جريمة ان يبتسم الكاتب لجلسائه في تحفظ) . ليس هذا عمله على وجه التأكيد . فعمله ان يكتب ، وان يكتب بصدق ، وشرف ، وبدون خوف . وهكذا كان ، وما يزال ، نجيب محفوظ .

● وينطبق ما قيل ـ الى حد ما ، مع بعض التحفظات ، على الهجوم على بعض الكتاب الذين وقفوا مواقف شريفة لا خلاف عليها ، مثل يوسف ادريس الذي وقف موقفا مشرفا بتوقيعه وجهده في اول بيان هام للكتاب ، وبمواقفه المشرفة في نقابة الصحفيين المصريين، دفاعا عن حقوق الصحفيين ، وحرية الصحافة ، وضرورة الديمقراطية للحياة المصرية في الفترة الاخيرة .

● اما بخصوص ما ورد بالتقرير ، بالنسبة لرجاء النقاش (الذي لم يوقع على بيان توفيق الحكيم ، لانه لم يعرض عليه) وانه كان يجمع توقيعات الكتاب ، على بيان يؤيد فصل الكتاب . فالذي اعلمه هو ما يلي :

١ ـ ان الذي صاغ البيان هو الاستاذ الناقدالدكتور علي الراعي . ووقعه عدد من الادباء منهم الاستاذ رجاء النقاش والكاتب المسرحي علي سالم ، والدكتور يوسف ادريس ، والشاعر احمد عبد المعطي حجازي (والاخير سحب توقيعه فيما بعد) .

٢ـ ان البيان لم يكن يؤيد موقف السلطة من الكتاب ،وانما كان يؤيد ويدعو الى تنفيذ ما جاء بالبيان المشترك الذي صدر عقب مقابلة السيد رئيس الجمهورية للكاتب الكبير الاستاذ توفيق الحكيم ، والذي نشر في جريدة الاهرام القاهرية

٣ ـ ثم ان هذا البيان قد واجه معارضة من اكثر الكتاب لاسباب مختلفة ، أدناها انه يجب الانتظار الى ان يثمر البيان المشترك بعض النتائج العملية بالنسبة للكتاب ، الذين كان لعزلهم صدى واسع في الاوساط الثقافية في العالم .

وقد توقف اصدار هذا البيان بموافقة الكتاب الموقعين انفسهم .

* * *

في رأيي ان تقرير « ع » تنقصه حقائق كثيرة ـ من ناحية المعلومات ، ومن ناحية التحليل والتقييم للوضع الثقافي في مصر ـ وهي الحقائق التي تدعم الغاية الاساسية التي اعتقد انها كانت هدف كاتب التقرير .

* * *

وليس المخيف حقا ان يكون سادة الحياة الادبية في مصر اليوم هم : صالح جودت وابراهيم الورداني وامثالهم ، وانما الذي يثقل القلب والنفس ، هو تصور ما كان يمكن ان يكتبه كثير من الكتاب والادباء اليوم ، لو كان مسموحا لهم بالكتابة .

* * *

وعلينا ان نقول صراحة ان مقاومة الكتاب المصريين من اجل وطنهم ، لا تعرضهم اليوم للاضطهاد البشع ، الذي يصوره « ع » ، فليس الجلوس على المقاهي بدون عمل ، وبأجر كامل ، مثل مواجهة الكلاب البوليسية المدربة على نهش الاعضاء التناسلية ، كما كان يحدث في الماضي .

* * *

واخيرا ..

ان الوضع الثقافي والادبي في مصر ، يطرح بالحاح ، امام الكتاب والادباء المصريين الشرفاء ، مهمة تكوين جبهة للمثقفين والكتاب المصريين وغير المصريين (في صورة اتحاد حقيقي) يكون هدفها الاساسي الدفاع المستميت عن الكتاب ، حياة ، وعملا ، وحقهم في ان يقولوا كلمتهم ، تعبيرا عن امال شعبهم .

والسؤال هو :

هل يستطيع الكتاب ـ بظروفهم واوضاعهم الحالية ـ وضع هذه المهمة ، وذلك الهدف ، موضع التنفيذ ؟

ذلك ما نرجوه جميعا من كل قلوبنا .

القاهرة — **ابراهيم منصور**